

الفرقان
في تفسير القرآن
بالقرآن والسُّنة

الفرقان

في تفسير القرآن

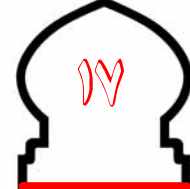
بالقرآن والسنة

الجزء السابع عشر

سورة الإسراء

سماحة الشيخ

الدكتور محمد الصادقي



سُورَةُ الْأَسْرَاءِ

سُورَةُ الْإِسْرَاءِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿سُبْحٰنَ الَّذِي اَسْرٰى بِعَبْدِهٖ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ اِلَى الْمَسْجِدِ
 الْاَقْصَا الَّذِي بَرَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِّنْ اٰيٰتِنَا اِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيْرُ ﴿١﴾
 وَاَتَيْنَا مُوسٰى الْكِتٰبَ وَجَعَلْنٰهُ هُدًى لِّبَنِيْٓ اِسْرٰءِيْلَ اَلَّا تَتَّخِذُوْا مِنْ دُوْنِيْ
 وَكَيْلًا ﴿٢﴾ ذُرِّيَّةً مِّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ اِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُوْرًا ﴿٣﴾
 وَقَضَيْنَا اِلَىٰ بَنِيْٓ اِسْرٰءِيْلَ فِي الْكِنٰبِ لِنُفْسِدَنَّ فِي الْاَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلِنَعْلَمَنَّ
 عُلُوْا كَبِيْرًا ﴿٤﴾ فَاِذَا جَآءَ وَعَدُ اُولٰٓئِهٖمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَا اُوْلٰىۤ اَبَاسٍ
 شَدِيْدٍ فَجَآسُوْا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعَدًا مَّفْعُوْلًا ﴿٥﴾ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ
 الْكُرَّةَ عَلَيْهِمْ وَاَمَدَدْنَاكُمْ بِاَمْوَالٍ وَبَنِيْنَ وَجَعَلْنَاكُمْ اَكْثَرَ نَفِيْرًا ﴿٦﴾
 اِنَّ اَحْسَنَكُمْ اَحْسَنْتُمْ لِاَنْفُسِكُمْ وَاِنْ اَسَآءْتُمْ فَلَهَا فَاِذَا جَآءَ وَعَدُ الْاٰخِرَةِ
 لِيَسْتَوْا وُجُوْهُكُمْ وَلِيَدْخُلُوْا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوْهُ اَوَّلَ مَرَّةٍ وَلَا يَلْتَمِزُوْا
 مَا عُلُوْا تَنْبِيْرًا ﴿٧﴾ عَسٰى رُبُّكُمْ اَنْ يَّرْحَمَكُمْ وَاِنْ عُدْتُمْ عَدُوًّا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ
 لِّلْكَافِرِيْنَ حَصِيْرًا ﴿٨﴾

سورة مثلثة الأسماء: الأسرى - بني إسرائيل - سبحان: تتبنى الرسالة الإسلامية بمقتضياتها ومخلفاتها كقاعدة أصيلة، بأصولها الثلاثة، وما تتضمنه من ملاحم وبشارات وإنذارات مثلات، بدايتها ﴿سُبْحٰنَ﴾ لتأكيد

وتوطيد الرحلة المعراجية المنقطعة النظير، ونهايتها ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾^(١) تسييح يضرب إلى الحمد فإنه تسييح بالحمد وبينهما متوسطات! وفي السورة قيلات خمس: إنها مكية إلا آيات: اثنتين أو ثلاث أو خمس أو ثمان^(٢) ولا توحى هذه أو تلك بمدنيتها ولا تلمح إذ نزلت نظائرها في المكيات، ثم هي بين دالة على مكيتها أو غير دالة على مدنها فقد تكون مكية كلها كما يقتضيه طبع الألفة والتأليف.

﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنَ السَّمَاءِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾^(٣):

هنا إجمال عن الرحلة المعراجية إلى أقصى أعماق الفضاء، وفي التكوير إجمال أخصر مما هنا: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ﴾^(٣) ثم ينجم تفصيلها في النجم: ﴿وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى﴾^(٤) مثلث بارع رائع عن هذه الرحلة الرهيبة الخارقة، يفسر بعضها بعضاً وينطق بعضها على بعض، مهما اختلفت فيها الروايات فلتعرض على القرآن لكي تنحو نحو القرآن.

(١) سورة الإسراء، الآية: ١١١.

(٢) مدينتان كما في روح المعاني هما ﴿وَلَمَّا كَادُوا لِيَفْتَنُونَكَ...﴾ [الإسراء: ٧٣] ﴿وَلَمَّا كَادُوا لِيَسْتَفْزُونَكَ...﴾ [الإسراء: ٧٦] وعن بعضهم إضافة: ﴿وَلَمَّا كَادُوا لِيَسْتَفْزُونَكَ...﴾ [الإسراء: ٦٠] ﴿وَقُلْ رَبِّي أَدْخِلْنِي مَدْخَلَ صِدْقِي...﴾ [الإسراء: ٨٠] وعل الإخراج أو منه الإخراج إلى المدينة فهي مكية إذ تنبئ عن مستقبل، وعن الحسن ألا ﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ...﴾ [الإسراء: ٣٣] ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَى...﴾ [الإسراء: ٣٢] ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ...﴾ [الإسراء: ٥٧] ﴿أَقْرِمِ الصَّلَاةَ...﴾ [الإسراء: ٧٨] ﴿وَأَتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ...﴾ [الإسراء: ٢٦] وعن مقاتل ألا ﴿وَلَمَّا كَادُوا لِيَفْتَنُونَكَ...﴾ [الإسراء: ٧٣] ﴿وَلَمَّا كَادُوا لِيَسْتَفْزُونَكَ...﴾ [الإسراء: ١٠٧] وآية الاستفزاز تشهد أنها مكية كآية الإدخال وسواهما لا تشهد أنها مدنية. وعن قتادة والمعدل عن ابن عباس إلا ثمان هي ﴿وَلَمَّا كَادُوا...﴾ إلى ﴿وَقُلْ رَبِّي...﴾.

(٣) سورة التكوير، الآية: ٢٣.

(٤) سورة النجم، الآية: ٧.

﴿سُبْحَانَ﴾ خير بداية تتلو خير ختام ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ تبدأ بها سورة السبحان الأسرى - بني إسرائيل، كألتيق حركة نفسية نفيسة تتسق مع واقع الاسراء وجوه اللطيف، وأحرى حالة روحية حيث يبلغ صاحبها إلى الأفق الأعلى المبين.

و﴿سُبْحَانَ﴾ عَلم للتسييح منحصر في الله ومنحسر عن غير الله، فإنه التنزيه المطلق^(١)، فليختص بالتنزيه المطلق، وليس مطلق التنزيه حتى يشمل من سوى الله من الكاملين، وإن في أعلى قمم الكمال حيث الفقر ذواتهم، والنقص كيانههم فأنى لهم سبحان مطلق! والله تعالى ذاته سبحان وصفاته سبحان وأفعاله سبحان، وهي هنا: سبحان ذاته أن يعرج إليها عبده أي عروج كان، في المكانة أو في المكان، فإنه مكن المكان فليس له مكان، وحد الحدود والجهات فليست له حدود وجهات، وهو المنهي للنهايات والمغبي للغايات، فسبحان ذاته أن يكون منتهى العروج لعبده بأي معنى كان، اللهم إلا قمة المعرفة الممكنة بالله:

﴿ثُمَّ دَنَا فَدَدْنَى ﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى ﴿٩﴾﴾^(٢)! ثم وسبحان أفعاله أن يعجز عن معراج عبده بجسمه وروحه إلى سماواته ليريه بعض آياته، كما يهرف به من لا يعرف قدرته تعالى على كل شيء.

وسبحان صفاته عن أن يضمن ويبخل عن هذه المكرمة الغالية لأول العابدين وسيد الخلق أجمعين، فسبحانه سبحانه سبحانه عن أي رين وشين في هذا البين.

ثم و﴿سُبْحَانَ﴾ تتكفل - ككل - بيان سلبية الصفات غير اللائقات بجناب عزّه، كما «الحمد» بيان للثابتات اللائقات بحضرة قدسه.

(١) تفسير روح المعاني ج ١٥ ص ٣ في العقد الفريد عن طلحة قال: سألت رسول الله ﷺ عن تفسير سبحان الله فقال: تنزيه لله تعالى عن كل سوء.

(٢) سورة النجم، الآيتان: ٨، ٩.

﴿الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا...﴾:

﴿أَسْرَى﴾ من «السرى»: سير الليل - ولكنه مضمّن معنى الرفعة والعلو فسراة كل شيء أعلاه، كسراة النهار: ارتفاعه، رفعة حسية أو معنوية: ﴿قَدْ جَعَلَ رَبُّكَ تَحَنُّكَ سِرِّيًّا﴾^(١) رفيعاً عظيماً هو المسيح ﷺ كما السر وشجرة مستقيمة رفيعة، وقد تجمع «السرى» بين الرفعتين كما في سرى الرسول ﷺ سرى أرضية إلى القدس في سفرة جوية، ثم سماوية إلى الأفق الأعلى مكانة ومكاناً.

وإذا كانت السرى سير الليل فلماذا هنا ﴿لَيْلًا﴾ وكما في ثانية ﴿فَأَسْرَ بِعِبَادِي لَيْلًا إِنَّكُمْ مُتَّبَعُونَ﴾^(٢) وثالثة ﴿فَأَسْرَ بِأَهْلِكَ يَقْطَعُ مِنَ اللَّيْلِ﴾^(٣) ومن ثم في رابعة تأتي دون ليل ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنِ أَسْرِ بِعِبَادِي لَيْلًا إِنَّكُمْ مُتَّبَعُونَ﴾^(٤)؟؟.

نقول: إن جمع الليل إلى السرى إذا كان مع عدم جمعه سيان كما في سرى موسى فالليل لمزيد الإيضاح^(٥). أم ولكي يعرف أنها في ليلة واحدة لا ليال. وإذا - لا - كما في لوط: ﴿يَقْطَعُ مِنَ اللَّيْلِ﴾ قسم من الليل يؤمن فيه عن ملاحقة قومه، لا كله أو أية قطعة منه حيث الخطر حادق والعدو حاذق، فلهذه وتلك.

أم لهذه وسواها من نكات كما في الإسراء يجمعها:

١ - دلالة على أن السرى كانت في ليلة واحدة حيث الوحدة لائحة من

تنكير ﴿لَيْلًا﴾ لا في ليال، حيث السرى وحدها أعم من ليلة أو ليال.

-
- (١) سورة مريم، الآية: ٢٤.
 (٢) سورة الدخان، الآية: ٢٣.
 (٣) سورة هود، الآية: ٨١.
 (٤) سورة الشعراء، الآية: ٥٢.
 (٥) كما في ﴿وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَذَخَّرُوا لِلَّهِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌُ وَحْدٌ﴾ [النحل: ٥١]. تصدأ إلى أن نفي الاثنية كإثبات الوحدة مقصود، دون أن يكون النفي هامشياً.